الفصل الثالث

قدوم الشاي إلى مختلف دول العالم

obeikandl.com

obeikandl.com

قدوم الشاي إلى مختلف دول العالم

قدوم الشاي لأمريكا

بحلول عام ١٦٥٠م، أصبح الهولنديون في أوج أنشطتهم التجارية مع العالم الغربي، وفي هذه الأثناء أحضر بيتر استويفيسانت Peter Stuyvesant أول شاي إلى المستعمرات المستقر فيها الهولنديين في أمريكا والتي كانت تعرف بأمستردام الجديدة New Amsterdam والتي أطلق عليها الإنجليز فيما بعد اسم نيويورك، وتأكد بيتر بنفسه أن قاطني هذه الأماكن كانوا من محتسي الشاي.

وعندما حصل الإنجليز على المستعمرة، وجدوا أن أفراد المستعمرة كانوا يحتسون كميات من الشاي أكثر من ذي قبل عند بداية دخوله على يد بيتر استويفيسانت.

وصول الشاي إلى إنجلترا

كانت بريطانيا العظمى آخر دولة من الدول الثلاث العظمى البعيدة عن البحر تدخل في طرق التجارة مع الصين والهند الشرقية، ويرجع ذلك جزئيا إلى عدم ثبات ملك استوارتس Stuarts وكذلك بسبب حرب كروميل الأهلية.

وصلت أول عينة شاي إلى إنجلترا بين ١٦٥٢- ١٦٥٤م. وقد ذاع صيت الشاي ولاقى قبولا غير متوقع وأصبح مشروبا شعبيا لدرجة أنه أزاح البيرة عن طريقه وحل محلها كمشروب وطني لإنجلترا.

وكما حدث في هولندا قبلا، كان النبلاء هم من أعطى هذا المشروب ختم الاعتماد وتأشيرة الدخول والموافقة على استخدامه وبهذا تم قبوله من قبل المجتمع الإنجليزي.

ونتيجة للزيجة التي تمت بين الملك المنفي شارلز الثاني King Charles II والذي ترعرع في كنف العاصمة الهولندية وهو في منفاه والسيدة البرتغالية كاثرين دي براجانزا Infanta Catherine de Braganza سنة ١٦٦٢م، فقد تأكد أنه هو وعروسه البرتغالية من شاربي الشاي.

وعند عودة الملكية على يد الملك شارلز، أحضر الزوجان هذا المشروب الغريب أي الشاي معهم إلى إنجلترا.

في بدايات ١٦٠٠ أسست إليزابيث الأولى Elizabeth I شركة جون لتشجيع التجارة مع آسيا.

وعند زواج كاثرين دي براجانزا من الملك شارلز الثاني أحضرت معها شركة تانجيير وبومباي كجزء من المهر.

وبسرعة خاطفة أصبح لشركة جون قاعدة قوية ورقعة متسعة من العمليات وأصبح لها شأن عظيم ومقام رفيع لدرجة أنها قد ارتقت مكانة لم ترقها أو تصل إليها شركة تجارية من قبل وكانت قوة هذه الشركة بلا حدود واكتسبت ميزات تجعلها تترفع عن كونها شركة تأسست أساسا للتجارة إلى درجة تجعلها دويلة داخل الدولة فقد أصبح من حق شركة جون أن تقوم بالأفعال التالية:

١- أصبح للشركة الحق في أن تكسب أرضا بل أيضا تملكها وتفرض عليها قانونها الخاص.

٢- تستطيع هذه الشركة أن تقوم بصك النقود.

٣- تتمتع بالحق في تصنيع الأسلحة وبناء القلاع الحصينة.

٤- للشركة الحرية في أن تعقد معاهدات أجنبية خارجية.

٥- تستطيع الشركة أن تعلن الحرب على دولة أخرى.

٦- يمكن لشركة جون أن تنهي حالة السلام دون انتظار لإذن من الدولة.

٧- يمكن للشركة أن تمرر القوانين.

٨- تعاقب شركة جون خارقي القوانين والخارجين عليه. ألم نقل بأن هذه الشركة تمثل دويلة داخل الدولة.

وشركة جون هي أكبر شركة محتكرة وقوية عرفها العالم على مدى تاريخه وقد استندت أو اكتسبت هذه القوة وهذا النفوذ اعتمادا على أنها الشركة المستوردة للشاي.

وفي نفس الوقت، لم تتمكن شركة شرق الهند من المنافسة، فناشدت البرلمان لنجدتها ومد يد العون لها حتى تستطيع التغلب على هذه الأزمة الطاحنة التي تعصف بها، فاتخذ البرلمان القرار بدمج الشركتان معا (شركة جون وشركة شرق الهند) في سنة ١٧٧٣م.

وقد أعطى هذا الاندماج شركة شرق الهند الجديدة حق الاحتكار الكامل للتجارة في الهند والصين مما أدى إلى ثبوت ارتفاع سعر الشاي مؤديا إلى مشاكل عديدة للتاج البريطاني.

ونحن لا نتحدث عن شركة جون معجبين بما وصلت إليه، وبما اكتسبته من القوة والنفوذ بل يمكننا القول وبلا مبالغة ما وصلت عليه من الجبروت، ولا نروج لمثل هذه الكيانات الاقتصادية المستبدة والمستغلة لحاجة الأفراد والتي تمثل وضعا سياديا قد تتعارض مصالحه مع مصالح الدولة وأفرادها، بل لنوضح مدى أهمية الشاي وما كانت عليه تجارته فهي التي أكسبت مثل هذه الشركات القوة والشموخ.

شاي بعد الظهيرة في إنجلترا

اجتاح هوس أو جنون الشاي إنجلترا كما حدث قبلا في فرنسا وهولندا.

وقد زاد معدل الاستيراد بدرجة مذهلة حيث قفز من ٤٠٠٠٠ رطل في سنة ١٦٩٩م إلى متوسط استيراد سنوي بلغ ٢٤٠٠٠٠ رطل في سنة ١٧٠٨م، فقد أصبح الشاي مشروب كل طوائف المجتمع الإنجليزي.

وقبل دخول الشاي إلى إنجلترا، كان للإنجليز وجبتين رئيسيتين في اليوم وهما الإفطار والعشاء. وكان الإفطار يحتوي على البيرة، والخبز واللحم البقري بينما كان العشاء عبارة عن وجبة ثقيلة تقدم في نهاية اليوم.

ولذلك فلا عجب أن الدوقة أنّا Anna دوقة بيدفورد Bedford (١٧٨٨- ١٨٦١) عندما انتابها شعور بالفراغ والملل في فترة بعد الظهر، أن تبنت طريقة تجهيز الشاي المتبعة في أوروبا،

ودعت الأصدقاء للإنضمام إليها على وجبة مسائية إضافية في تمام الساعة الخامسة مساء في قلعة بيلفور Belvoir.

وكانت الوجبة الإضافية تحوي فطائر صغيرة، خبز وسندويتشات زبد، وحلويات وبالقطع لابد وأن تحتوي على الإكسير السحري المذهل أي الشاي.

وقد أصبح سلوك الدوقة أنّا هذا مألوف ومعتاد لدرجة أن الدوقة استمرت فيه حتى عندما عادت إلى لندن حيث كانت تدعو أصدقائها أن ينضموا إليها في "احتساء الشاي إضافة إلى نزهة في الحقول الخضراء الغناء" لأن لندن في هذه الأثناء كانت تحتوي على رياض غناء مفتوحة تدخل البهجة والراحة والسكينة على مرتاديها.

وقد دفع سلوك الدوقة أنّا عدد من ربات البيوت الراقيات أن يحذون حذوها وبالفعل تبعن عادة أو سلوك دعوة الأصدقاء إلى احتساء الشاي في المساء، حتى أصبح تقديم الشاي واحتسائه عادة إنجليزية.

وأول براد صنع لإعداد الشاي امتلكته سيدة منزل كان محاطا بالبورسيلين porcelain ومصنعا في الصين.

وكانت ربة البيت تقوم بتسخين الشاي في براد من الفضة ثم تضعه في براد البورسيلين فيظل محتفظا بدفئه بوضعه على لهب ضعيف، ثم يمرر الطعام والشاي بين الضيوف.

وكان الهدف الأساسي من مثل هذه الزيارات ليس فقط لاحتساء الشاي بل للحديث والحفاظ على نمط الحياة الاجتماعية التي

يتجمع فيها الأصدقاء والخلان لتجاذب أطراف الحديث في موضوعات شتى شيقة لقتل الوقت وإشاعة جو من الألفة والمحبة بين الأصدقاء.

فن تجهيز الشاي

تنوعت طرق إعداد الشاي بسرعة وزاد تقديمه في أوقات مختلفة ومع أطعمة شتى تضمنت السندوتشات الرقيقة بالويڤر، والربيان أو عجينة السمك، والخبز المحمص بالمربى وفطيرة اللحم الإنجليزية.

وكان هناك نوعان من الشاي متميزين عن بعضهما البعض يقدمان في هذا الوقت وهما:

الشاي المنخفض أو الخفيف low والشاي الثقيل أو العالي high.

ويقدم الشاي الخفيف low في بداية المساء في المنازل الأروستقراطية أو في منازل الطبقة الراقية والأغنياء، الذين هم خبراء في اختيار الأطعمة الشهية.

ويقدم الشاي العالي high المعروف بشاي اللحم "meat tea" في الوجبة اليومية الرئيسية وهي الوجبة السائدة للطبقات المتوسطة والدنيا من المجتمع والتي تتكون بصورة كبيرة من مكونات العشاء مثل لحم البقر المشوي، بطاطس مهروسة، بسلة وبالتأكيد الشاي.

بيوت القهوة (المقاهي)

على الرغم من كون الشاي هو المشروب الشائع في المقاهي، فقد أُطلِق على هذه الأماكن لقب مقاهي لأن القهوة كانت أسبق قدوما

إلى إنجلترا من الشاي بعدة سنوات. وكان الرجال يسمون هذه الأماكن بجامعات القرش penny universities.

وقد اكتسبت المقاهي هذه الكُنْيَة لأنه بقرش واحد يمكن لأي رجل أن يحصل على قدح من الشاي، ونسخة من الجريدة، بل ويشارك في محادثة حول أظرف طُرْقَة في اليوم.

وقد تخصصت هذه المقاهي في أشياء معينة تلقى اهتماما من روادها فبعضها يرتاده المحامون، وبعضها يجتمع فيه المؤلفين، وغيرها يزوره العسكريون ويتخصص في المناحي العسكرية.

وكان لهذه الأماكن قصب السبق كأندية إنجليزية تتلاقى فيها الطبقة المهذبة.

وكانت إحدى المنتجعات التي يُحتَسَى فيها الشراب ملك إدوارد ليويد Edward Lioyd يزورها ملاك السفن، والتجار والقائمين بتأمين الملاحة، وكانت هي بداية نشأة شركة ليويد العالمية للتأمين.

وقد بُذِلَت محاولات جادة من الحكومة لإغلاق هذه المقاهي في القرن الثامن عشر حيث كانت تُلْقَى بها خطابات حرة جريئة تشجع على الجرأة والحرية ولكن محاولات الإغلاق هذه كلها باءت بالفشل.

حدائق وحفلات الشاي

قلد الإنجليز التجربة الهولندية في تحضير الشاي واحتسائه في حدائق الفنادق أو الحانات "tavern garden tea" بل وطوروا فكرة حفلات الشاي.

وفي هذه الحالة، يقوم الرجال والنساء بأخذ الشاي خارج المباني تصحبهم في ذلك الفرق الموسيقية ويذهبون إلى الأماكن المظللة بالأشجار الوارفة، كما يقومون بالتنزه في الأماكن المزهرة، يشتركون في استعراضات فنية، أو يلعبون القمار أو الألعاب النارية في المساء.

كان كل هذا ابتهاجا لاحتسائهم الشاي مما يدل على المكانة العالية التي اعتلاها الشاي في هذه الأثناء.

وليس مستغربا نتيجة للتداخل الاجتماعي بين الناس في حفلات الشاي، أن يتعرف اللورد نلسون Lord Nelson الذي قهر القائد الفرنسي الشهير نابليون بونابارت في موقعة بحرية شهيرة، حيث تعرف نلسون في أحد هذه الحفلات على حب عمره الذي لعب بشغاف قلبه وعزف على أوتار فؤاده أنشودة الحب والغرام إمَّا Emma والتي أصبحت فيما بعد السيدة هاملتون Lady Hamilton.

وقد تغيرت عادات المجتمع الإنجليزي تكريما لحفلات الشاي، فقد سمح المجتمع الإنجليزي لأول مرة للنساء أن تختلط وتتجمع علنا دون انتقاد اجتماعي، ولأن الحفلات كانت عامة، فقد اختلط أفراد المجتمع بِحُرِيَّة لأول مرة، مذيبا الفروق في الدرجة والعرق والمولد.

ونتيجة لهذا الانفتاح الاجتماعي، ظهرت بعض العادات السيئة مثل إعطاء البقشيش كرد فعل أو عرفان بالجميل أو تعبيرا عن الراحة والرضا للخدمة الجيدة في حفلات أو حدائق الشاي في إنجلترا.

توضع صناديق خشبية صغيرة فوق المناضد الموزعة في أرجاء الحديقة ومكتوب على كل صندوق منها حروف "T. I. P. S.". وهذه الحروف تعني ضمان الحصول على خدمة جيدة وسريعة.

وإذا أراد ضيف أن يلبي النادل حاجته بسرعة ودقة لكي يضمن أن يصله الشاي ساخنا من المطبخ الذي يكون غالبا بعيدا عن المناضد فإنه يسقط قطعة عملة في الصندوق حال جلوسه.

ومن هنا نشأت عادة إعطاء البقشيش من قبل الزبائن حتى أصبح عرفا متبعا في العديد من الأماكن والمحال التجارية في كل دول العالم. ولكن المحزن وهو ما لا يجب أن يكون هو كون الشخص لا يؤدي وظيفته على الوجه الأكمل إلا بعد حصوله على البقشيش بل إن البعض يعتبره حقا مكتسبا جزاء ما قدم من عمل.

العادة الروسية للشاي

حاولت الإمبراطورية الروسية أن تدخل في تجارة مع الصين في ذات الوقت مثل شركة الهند الشرقية.

وقد بدأ هذا الاهتمام في روسيا في بداية ١٦١٨م عندما قدمت السفارة الصينية في موسكو عدة صناديق من الشاي إلى القيصر أليكسيس Czar Alexis .

وقد أُبرِمَت معاهدة نيو شينسك للتجارة بحلول عام ١٦٨٩م وأقيمت حدود مشتركة بين روسيا والصين، والتي سمحت للبيوت المتحركة والمحمولة على عربات تجرها من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ جمل

العبور بحرية عبر الحدود بين الدولتين. وكانت الرحلة شاقة يبلغ طولها حوالي ١١٠٠٠ ميل وتستغرق حوالي ١٦ شهرا لإتمامها.

ونتيجة لهذا، كانت أسعار الشاي باهظة وكان متوافرا للطبقة الغنية التي تستطيع أن تتحمل ثمنه.

وعند وفاة كاثرين Catherine the Great سنة ١٧٩٦م، انخفض سعر الشاي نوعا ما، وذاع صيته وعلا شأنه في ربوع روسيا.

وكان الشاي من المشروبات الجيدة الملائمة لطريقة الحياة في روسيا لأنه يتميز بأنه مشروب دافىء، ومعافي ومقوي.

وقد تطور شكل إناء تجهيز الشاي والمعروف بالساموڤار samovar (تلك الكلمة مأخوذة من لغة أبناء التبت والتي تعني " القدر الساخن" وهو سخان للماء متحد مع إناء الشاي، يوضع في مركز البيت الروسي، وقد يظل يعمل طوال اليوم ويمكن الحصول منه على ٤٠ كوب من الشاي في ذات الوقت).

وقد وضح التأثير الآسيوي على الثقافة الروسية، فالضيوف تشرب الشاي في الأكواب الزجاجية الموضوعة على حوامل فضية كما هي الحال في بعض دول آسيا.

وكان الروس يفضلون احتساء الشاي القوي المحلى إما بالكثير من السكر وإما بالعسل وإما بالمربى.

وبعد الانتهاء من خط سكة حديد سيبيريا سنة ١٩٠٠م، أُهمِلَت العربات التي تجرها الجمال وبدأ عصر استخدام الماكينات والمحركات

والتي لولاها لما وصل العالَم إلى ما نحن عليه الآن فعماد اقتصاد أي أمة يعتمد على تقدم وسائل مواصلاتها واتصالاتها.

وعلى الرغم من تأثير الثورة في سلوك وتصرف أفراد المجتمع الروسي وتدخلها في طريقة حياة أفراده، ظل الشاي هو المشروب الرئيسي في روسيا بأسرها، فالشاي والفودكا هما المشروبان الوطنيان للشعب الروسي منذ ذاك العهد وحتى الآن.

الشاي وأمريكا

ظلت أمريكا حتى سنة ١٦٧٠م لا تعرف شيئا عن الشاي حتى تَعَرَّف المستعمرون الإنجليز في بوسطن على الشاي، ولم يتح للجمهور إلا بعد ٢٠ سنة من هذا.

وقد افْتُتِحَت حدائق الشاي أول ما افْتُتِحَت في مدينة نيويورك والتي كانت على دراية سابقة بهذا المشروب؛ ألم تكن نيويورك مستعمرة هولندية سابقة.

وقد تمركزت الحدائق حول عيون الماء أو الينابيع الطبيعية، والتي زودت بمضخات لإضفاء جو من النشوة والإثارة التي تتماشى مع الهوس والولع بالشاي.

ومن أشهر الينابيع التي أقيمت حولها حدائق الشاي هي روزيڤلت Roosevelt وكاثام Chatham (والتي أصبحت شارع بارك رو فيما بعد Park Row).

وبحلول عام ١٧٢٠م، تبوأ الشاي مقعده كنوع من التجارة الرئيسية بين المستعمرة والوطن الأم، وكانت النساء ساكنات المستعمرة من عاشقات احتساء الشاي.

وقد تمركزت تجارة الشاي في بعض المدن الأمريكية الهامة والتي ما زالت محتفظة بشهرتها حتى الآن مثل بوسطن، ونيويورك وفيلاديلفيا.

ولأن الحكومة فرضت ضرائب فادحة على المشروب القادم حديثا للبلاد، حتى في هذه الفترة المبكرة لدخوله، قام التجار بتهريب الشاي إلى المستعمرات، وكان هؤلاء التجار من الحكمة والحنكة ويمتلكون عقول فذة مدبرة حتى يتمكنوا من القيام بهذه المجازفة لتهريب الشاي من موانيء بعيدة ويأخذون عُشْب الشاي من الهنود.

ولم تقف شركة جون مكتوفة اليدين أمام هذا الطوفان الذي تسبب في انخفاض أرباحها وتعطل أعمالها نتيجة لتهريب الشاي فقام مديرو الشركة والتي دُمِجَت فيما بعد مع شركة الهند الشرقية بالضغط على البرلمان ليتخذ فعلا مضادا لحملات التهريب هذه.

الشاي والثورة الأمريكية

بعد فراغ إنجلترا من حرب فرنسا والهند لتحرير المستعمرة من النفوذ الفرنسي وحتى تستقر التجارة، حزم البرلمان أمره وأقر بأنه ليس من الحصافة والعدل أن يتحمل مستوطني المستعمرات غالبية التكلفة، بالرغم من أن الحرب قد نشبت لمصلحتها.

وقد قدم تشارلز تونشـيند Charles Townshend مشـروع أول ضريبة والتي تعرف حتى الآن باسمه.

فقد فرض البرلمـان الضـرائب الباهظـة علـى الصـحف، وتراخيص الحانات، والسندات القانونية، وتراخيص الزواج، ومستندات الشحن والتفريغ مما أظجر وحز في نفوس المستوطنين ودفعهـم إلـى الثورة ضد هذه الضرائب المجحفة المفروضة عليهم بدون موافقتهم.

وكان رد فعل البرلمان على هذا التمرد والعصيان أن فـرض ضرائب أعلى من تلك التي كانت مفروضة عليهم ذي قبل، مـن بينهـا تلك الضريبة التي فرضت في سنة ١٧٦٧م وهي ضريبة الشاي، والتي كانت الشرارة الأولى التي أوقدت حمية الأمريكان باحثين عن الحريـة وكسر القيد المُكبِّل لهم والمُغِل لأيديهم.

وقد تُوُفِّي تشارلز تونشيند بعد ثلاثة أشهر من هـذا الإجـراء المتعسف متأثرا بالحمى ولم يكن يعلم ما كان يخبئه له القدر، فلم يـدور في خلده أبدًا أو حتى حلم بأن الضريبة التي فرضـها علـى الشـعب الأمريكي هي التي خلقت الحرية في هذه الأمة التي ما زالـت شـماء مضارعة أعتى الأمم في الأزمنة الغابرة ألا ينطبق على هـذه الحالـة المثل القائل " معظم النار من مستصغر الشرر".

وثار المستوطنون وتمردوا على الذل والقهر والجبروت الـذي كان مفروضا عليهم وكسروا القيد كالعصفور الذي فر من قفص الأسر وقاموا بشراء الشاي الوارد إلى البلاد بكثـرة وبحريـة وخاصـة ذاك الشاي ذو الأصل الهولندي.

ورأت شركة جون والتي كانت تعصف بها ضائقة مالية أن أرباحها تقل تدريجيا فاتحدت مع شركة الهند الشرقية سنة ١٧٧٣م حتى تستطيع المحافظة على ثبات أسهمها من الانهيار ولجأت إلى الملك وطلبت مساعدته، وقد منح اللورد نورث Lord North وزير الخزانة تحت وطأة هذا الضغط الشركة الجديدة تصريحا بالبيع لسكان المستعمرات مباشرة بإمراره لتجار المستوطنات وتتحمل الخزانة الفرق.

وبهذه الوسيلة أصبحت إنجلترا محببة بين النساء الأمريكيات لتوفيرها الشاي لهن.

وكانت المفاجأة الكبرى التي نزلت كالصاعقة عندما أعلنت نساء المستعمرات في اجتماعاتهن وفي الصحف أيضا أنهن لن يشربن الشاي الوارد من إنجلترا حتى يحصلن على حريتهن.

حفل بوسطن للشاي

تفاقمت الأحداث يوم ١٦ ديسمبر عندما ارتدى رجال بوسطن أزياء تشبههم بالهنود وقاموا بإلقاء مئات الأرطال من الشاي في الميناء وهذا الحدث هو ما عرف بحفل شاي بوسطن.

ومن بين الرجال الذين تزعموا الحركة وقادوا هذا التمرد ورفعوا لواء العصيان صامويل آدمز Samuel Adams وجون هانكوك John Hancock.

وكرد فعل انتقامي على الفعل النازع للعصيان ولِوَأْد التمرد في مهده، أغلقت السلطات ميناء بوسطن واحتلت الفرق العسكرية المدينة.

من أجل ذلك اجتمعت قادة المستعمرات وأُعلِنت الثورة (فما من حرية بغير دم وسقوط ضحايا كما قال الشاعر: وللحرية الحمراء باب بكل يد مدرجة يدق).

استمرار تجارة الشاي في الشرق

بالرغم من اهتمام الأمريكان المتفاقم بالتنمية، كان جُل اهتمام الإنجليز منصبا على مراكز إنتاج الشاي أي بالشرق، فقد أصبحت تجارة الشاي في الشرق طريقة لكسب الرزق يعتمد عليها الكثيرين بل قد أصبحت طريقة حياة وتطورت لغة خاصة بها عرفت pidgin English وهي باللغة الصينية تعني "يقوم بأداء عمل" وظهرت هذه اللغة لتسهيل التجارة. وكانت هذه اللغة مزيجا من الكلمات الإنجليزية والبرتغالية، والهندية كما تُنْطَقُ باللغة الصينية. وقد سادت ثقافة الشاي في الدول المتحدثة بالإنجليزية حتى أصبحت بعض الكلمات مستخدمة بصورة دائمة في اللغة الإنجليزية المعاصرة:

* مثل الكلمة الإنجليزية mandarin أي حكيم أو موظف كبير في الصين (من كلمة mandar البرتغالية والتي تعني أمر) أي موظف محكمة أو قوي مُنِحَ سلطة من الإمبراطور للإتجار في الشاي.
* Cash أي نقدا (من الكلمة البرتغالية Caixa بمعنى حقيبة أو صندوق نقود) وتعني عملة التعامل في الشاي.

* Caddy من الكلمة الصينية وتعني وزن رطل واحد والآن يقصد بها حاوية الإتجار في الشاي العيارية.

* Chow (أكلة صينية أو طعام) من الكلمة الهندية لشحن الطعام وتعني الآن الطعام باللغة العامية.

حروب الأفيون

وظهرت في إنجلترا مشكلة نقل الأموال للإتجار في الشاي حيث كانت تنفق مبالغ طائلة على الشاي هذا المشروب الساحر الذي يعشقه غالبية السكان الذين يفترشون سطح البسيطة.

والمشكلة تتمثل في أنه إذا أُخِذَت هذه الأموال خارج إنجلترا فستكون النتيجة الحتمية انهيار الاقتصاد الإنجليزي كذلك من المستحيل نقل الأموال بأمان حول العالم ففي هذا الوقت لم تكن هناك مصارف أو بنوك يمكن عن طريقها تحويل المال من مكان لآخر بأمان.

وعندما استُزْرِعَت الهند هذه البلد المستعمرة حديثا، وجدت شركة جون حلا لهذه المشكلة وهو إمكانية زرع الأفيون هذا المحصول الرخيص قليل الكلفة واستبداله أو مقايضته بمحصول آخر.

وحيث أن الأفيون يؤدي إلى الإدمان فستظل الحاجة إليه ماسة طوال فترة حياة المدمن فلا يمكنه الاستغناء عنه وبالتالي ينمو سوق لا ينتهي ولا يجور عليه الزمن ولا يتعرض لتغير الأذواق والأعمار.

وقد حاول الأباطرة الصينيين إبعاد الشعب الصيني عن هذا البلاء المكتظ بالمرارة والذي لا تعقبه سوى الحسرة والندامة وينتهي

بلا أدنى شك إلى الأسى والألم "ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن"، فقد حالت كوارث وتدهور الزراعة في الصين وكذلك وجود جيش أجنبي دون ذلك واشتعلت حرب الأفيون حيث استعدت إنجلترا لخوض الحرب من أجل التجارة الحرة (أي حقهم في بيع الأفيون).

وبحلول عام ١٨٤٢م، كانت إنجلترا بالقوة العسكرية الكافية بل بالقوة العسكرية الغاشمة التي تدعمها وتجعلها تبيع الأفيون في الصين دون خوف أو مشاكل حتى سنة ١٩٠٨م.

اشتراك أمريكا في تجارة الشاي

كان أول ثلاث مليونيرات أمريكان هم ت. هـ. بيركنز T. H. Perkins في بوسطن، واستيفين جيرارد Stephen Girard في فيلاديلفيا وثالثهم هو جون جاكوب أستور John Jacob Astor في نيويورك. هؤلاء الثلاثة قد كوَّنُوا ثرواتهم من الإتجار مع الصين.

وقد باشرت أمريكا التجارة مع الصين مباشرة حال انتهاء الثورة سنة ١٧٨٩م، يعضدها ويشد أزرها أسطولها الجديد من السفن الشراعية والتي أثبتت تفوقها على عربات نقل الشاي الإنجليزية البطيئة والثقيلة والتي كانت مهيمنة على تجارة الشاي عندئذ، مما حذا بإنجلترا إلى تحديث سفنها حتى تستطيع اللحاق بركب التجارة المتنامية بقوة والتي سوف تجني منها أموال طائلة.

وقد حققت السفن الأمريكية نتائج قياسية في السرعة والمسافة. وقد بدأ جون جاكوب استور الإتجار في الشاي في سنة ١٨٠٠م.

وقد عُرِف استيفين جيرارد هذا المليونير الفيلاديلفي بأنه تاجر الشاي الرقيق والدمث.

وقد أوردنا ذكر هؤلاء المليونيرات الثلاثة لأنهم كانوا من التجار الشرفاء الذين ساروا على السلوك القويم فلم يقايض هؤلاء المليونيرات الأفيون بالشاي.

هذا، وقد استطاعت أمريكا كسر الاحتكار الإنجليزي على تجارة الشاي تساعدها وتزينها سفنها السريعة التي تمخر عباب البحار كذلك كانت تدفع الثمن ذهبا.

عهد السفن الشراعية

في منتصف القرن الثامن عشر تسابقت الأمم على إنتاج السفن الشراعية السريعة وقد حازت أمريكا وإنجلترا قصب السبق في هذا.

وكانت السفن الضخمة تتسابق كل عام من الصين لتبادل الشاي في لندن لكي تكون هي الرابحة في إحضار أول شحنة شاي تدخل المزاد.

وكانت أطقم قيادة وصيانة السفن ماهرة حيث تترا السفن بعضها وراء بعض لدرجة أن سفينة تصل قبل غيرها بدقائق فقط.

وبحلول عام ١٨٧١م حلت السفن التجارية الضخمة محل هذه السفن الشراعية.

تطور زراعة الشاي على مستوى العالم

استطاع عالم النبات الإسكتلندي المغامر روبرت فورشن Robert Fortune الذي كان يتكلم اللغة الصينية بطلاقة، أن يتسلل إلى أرض الصين في العام الأول بعد حرب الأفيون.

واستطاع هذا العالِم المغامر أن يحصل على بعض بذور الشاي التي كانت تحت حراسة أمنية لصيقة وصاغ عدة ملحوظات على زراعة الشاي.

وبتأييد ومساندة من التاج قام روبرت بعدة محاولات وتجارب على زراعة الشاي في الهند.

وقد باءت محاولات عدة بالفشل ولم يجانبها النجاح لسوء اختيار التربة وعدم تطبيق طرق الزراعة السليمة لأن زراعة الشاي ووسائلها كانت سرا غير معلن وحكرا على الدول المحتكرة تجارته.

ومع المحاولة والخطأ قد يستفيد ويتعلم المتعلم ويتحسن العالم، فلا يجب أن ييأس الفرد ويقلع عن عمله، فمع كل فشل تتحسن التقنية وتُكْتسَب خبرة.

وفي نهاية المطاف وبعد عدة سنين من المحاولة والخطأ، وإنفاق الأموال الطائلة، ازدهرت زراعة الشاي على يد إنجليز في الهند، ومناطق أخرى من آسيا، وقد ترتب على ذلك تأسيس شركات إنجليزية هائلة لتسويق الشاي.

ومع النهضة الصناعية التي اجتاحت العالم في أواخر القرن الثامن عشر اقترن الإنتاج بالآلات والماكينات.

اختراعات الشاي في أمريكا: الشاي المثلج والشاي الأكياس

رسخت قواعد الحكومة الأمريكية، وقويت دعائمها وعضدت اقتصادها ووسعت حدودها واهتماماتها.

وبحلول عام ١٩٠٤م، كانت الولايات المتحدة الأمريكية في أوج قوتها وعنفوان شبابها وكانت مستعدة أن تُرِي للعالم تقدمها وذلك في معرض سانت لويس العالمي، حيث أحضر التجار من كل أرجاء المعمورة منتجاتهم إلى المعرض العالمي الأول في أمريكا.

ومن بين هؤلاء التجار كان ريتشارد بليشندين Richard Blechynden والذي كان يمتلك مزرعة للشاي. وكان في مخطط الرجل أن يهدي زوار المعرض عينات مجانية من الشاي الساخن كنوع من الدعاية لمنتجه.

ولكن شاءت الأقدار ولعب الزمان لعبته أن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد كان العائق في هذه الحالة هي الريح اللافحة شديدة الحرارة، فقد اجتاحت الجو موجة ساخنة جعلت الناس لو استطاعوا التخلص حتى من ملابسهم، فلم يبالي أحد باحتساء الشاي الساخن.

ولكي يحافظ الرجل على استثماره حيث بذل المال والوقت والجهد والسفر بمنتجه، قام بإلقاء حمل من الثلج في الشاي غير متنبأ او مكترث بالنتائج بل هو فعل ما أملته عليه الضرورة وما فرضه عليه واقع الحال ولم يكن يعلم ما خبأه له القدر.

فبعد إلقاء الثلج في الشاي، قام الرجل بإعداد وتقديم شاي مثلج لأول مرة في تاريخ البشرية.

وبهذا الفعل أصبح كوب الشاي المثلج في جو من الرقص الشرقي هو زينة أو مفاجئة المعرض.

وبعد أربعة أعوام من هذا الحدث، طور توماس سوليڤانت Thomas Sullivant من نيويورك فكرة إنتاج الشاي الأكياس.

وكتاجر محنك للشاي، قام توماس سوليڤانت بتغليف كل عينة شاي يسلمها إلى المطاعم بعناية فائقة حتى تلقى الاهتمام من مالكي المطاعم والمقاهي.

وقد أدرك بل اقتنص هذا الرجل بخبرته ما ساقته له الطبيعة من خير وكسب دون أن يكون له فضل في ذلك. فقد واتته فرصة دهبية لتسويق منتجه عندما علم أن المطاعم تقدم عينات الشاي وهي في الأكياس حتى تتفادى فوضى تناثر أوراق الشاي في أرجاء المطبخ.

غرف، وساحات ورقصات الشاي

مع قدوم أواخر سنوات ١٨٨٠م، بدأت الفنادق الفاخرة في أمريكا وإنجلترا في تقديم خدمة الشاي في غرف وقاعات الشاي.

وكانت النساء الوقورات الراقيات وأصدقائهن من الرجال النبلاء يتقابلون في الجزء الأخير من المساء أو الفترة المتأخرة من بعد الظهيرة لاحتساء الشاي وتجاذب أطراف الحديث في موضوعات شتى.

وكان مستوى رقي الفندق من عدمه يقاس بحسب خدمات الشاي التي يقدمها، حتى أصبحت بعض الفنادق تشتهر بما تقدمه من

خدمة شاي مميزة كفندق ريتز Ritz ذاك القابع في مدينة بوسطن وفندق بلازا Plaza الكائن في مدينة نيويورك.

وبحلول عام ١٩١٠م، اجتاحت إنجلترا وأمريكا حُمَّى هوس الرقص وأصابت شعوبهما عدوته، فلم تفوت الفنادق هذه الفرصة، ولكي تجبي منها ربحا وفيرا، عمدت إلى إقامة رقصات شاي بعد الظهيرة أو المساء.

ومما يؤكد عشق الأفراد للرقص وإدمانهم إياه مما تسبب في تعطيل العمل في بعض الأحيان، ما قام به رئيس تحرير القوج Vogue ذات مرة بفصل عدد كبير من السكرتيرات وطردهن خارج العمل لأنهن أهدرن الكثير من وقتهن في رقصات الشاي.

شاي بعد الظهيرة الآن في أمريكا

أصبح الشاي هذه الأيام شائعا في أمريكا كما لم يحدث من قبل كذلك في كل دول العالم فهو كما قلنا المشروب الثاني على مستوى العالم سواء المتحضر أو النامي أو حتى في الدول المتخلفة بعد الماء.

وحاليا توجد صيحة واهتمام بالشاي في أمريكا حيث يبحث العديد من الأمريكان عن طريقة حياة صحية إيجابية، مما دفع العديد من الفنادق الموزعة في أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية إلى إحياء أو على الأقل التخطيط للعودة إلى خدمة شاي المساء كما كان قبلا.

شاربو الشاي الصينيون

استُخْدِم الشاي الأخضر في الصين كمشروب طبي وصحي لمدة تقارب ٥٠٠٠ سنة، وكان هو المشروب المفضل بين القادة والأثرياء قبل أن يشيع بين أبناء الطبقة المتوسطة.

وكانت أوراق الشاي تُأخَذُ طازجة من النبات مباشرة ثم تغلى أي من الحقل إلى الفم دون تدخل بشري فيها أو إجراء أي عملية تجهيز عليها، أو قد تجرى لها معاملة حرارية خفيفة. وأحيانا كان الصينيون يأكلون الأوراق حال قطفها من النبات.

وكان الشاي في الصين القديمة غالي الثمن مكلف الحصول عليه عزيز على الفقراء يستهلكه أثرياء المجتمع فقط. ولكن بعد انهيار الإمبراطورية المنغولية وسقوطها في عام ١٣٦٨م، حالف الحظ فقراء الصين واستمتع كل أفراد الشعب الصيني على اختلاف منازلهم وأعراقهم بالطعم الرائع للشاي بما فيه الشاي الأخضر.

وعندما كانت الصين هي الملكة المتوجة على عرش البحار في الفترة ما بين ١٤٠٥- ١٤٣٣م، كان البحارون يُعْطَوْن الكميات الضرورية من الشاي الأخضر، لأن المواد المضادة للأكسدة الموجودة فيه تزيدهم مناعة وتهبهم مقاومة لكي يتمكنوا من الصراع مع مرض الاسقربوط، والذي تسبب في مقتل العديد من البحارة الأوربيون بعد ذلك بعدة سنوات.

وقد انتقلت عادة شرب الشاي إلى الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق أوروبا كجزء من تجارة الشاي التي شاعت عالميا بين

الدول وكذلك بواسطة المهاجرون الصينيين الذين كانوا يمتلكون مطاعم في الولايات المتحدة الأمريكية والتي كانت تقوم فيما تقوم بـــه بخدمـــة تقديم الشاي.

obeikandl.com